الشاب - الفتاة

بعد سماعنا – كركاب – صراخ في محطة مترو جامعة حلوان يصدر عن فتى صغير السن، لا يتعدى الخامسة عشرة، فما كان من الركاب إلا أن بدءوا الخبط بأيديهم على العربات من الداخل والخارج؛ حتى لا يتحرك السائق بعد أن أغلق الأبواب استعدادًا للسير باتجاه المرج.

وقف المترو، وفُتحت أبواب العربات، وتَجمَّع الركاب عند عربة النساء التي شهدت الصراخ.

عن نفسي لم أصدق ما رأيته. النساء يمسكن بفتى صغير السن يتنكر في ملابس فتاة، ويضربنه ضربًا مبرحًا بـ«الشباشب». يبكي الفتى، ويطلب منهن السماح، لكن دون فائدة!!

سألنا عن القصة، فتبين أن هذا الفتى المنفلت يرتدي ملابس فتيات، ويركب عربات مترو السيدات؛ حتى يلامسهن من مناطق حساسة، وهو الأمر الذي جعل إحداهن تصرخ، وتستغيث عندما حاول ملامسة منطقة حساسة بجسمها.

خلال عشر دقائق حضر رجال أمن المحطة، وخلصوا الفتى من يد الراكبات.

أخذني الفضول، وذهبت خلفه؛ حتى أسمع منه أي تفسير عما بدر منه، أثناء التحقيق معه أمام مباحث المحطة.

بمجرد أن «شخط» فيه ضابط الأمن المسؤول، وجدت الفتى منهارًا ويعترف أنه مخطئ ونادم على ما فعله، بل أقسم بالله ألا يفعل ذلك ثانية، إلا أن الضابط أصر على كتابة محضر بالواقعة وإحالته إلى النيابة للتحقيق معه، خصوصًا بعد اعترافه بأنه يرتكب نفس الفعل المشين منذ فترة ليست بالقصيرة.

عندئذٍ حدثتني نفسي همسًا، وأنا أطالع الفتى بين النساء ورجال الأمن:

– واقعة مؤسفة حقًّا تلك التي تجعل فتىً في عمر الزهور يلجأ إلى هذه الحيلة؛ حتى يُشبع رغباته الحيوانية بهذه الدناءة والخسة، وسألت نفسي:

– على من تقع مسئولية انحراف هذا الفتى: على المجتمع، أم على الأسرة، أم على الفتى نفسه؟!

ولأن هذه الواقعة شغلتني جدًّا؛ سألت صديقا لي متخصصًا في علم النفس عما رأيته، فقال:

– إن حالة هذا الفتى تشبه حالات مرضية أخرى موجودة في المجتمع، فمن الناحية التربوية، فإن ارتداء الفتى أو الرجل لملابس نساء له تأثير كبير؛ كونها تصقل شخصيّة الإنسان منذ الطفولة، وتعلّمه تفريق الخطأ عن الصواب، وتشجّعه على احترام القواعد والتقاليد، وتنهيه عن خرق الأعراف.

– بل وتدمجه بسلاسة في المجتمع؛ ذلك أنّ الصورة التي يكتسبها الإنسان في صغره تترسّخ في تفكيره، ويمارسها تلقائيًّا في شبابه.

وأوضح:

– وهذه الظاهرة ترجع لأمرين:

– أوّلهما ضعف أو انعدام علاقة الولد مع الأب من جهة، وتعلّق الأم المفرط عاطفيًّا بالولد؛ ما يدفعه إلى التقرّب الشديد من والدته؛ لملء فراغ عاطفيّ ناجم عن

عدم استقرار عائلي؛ ليكتسب الفتى مع الوقت التصرفات الأنثوية، ويكبر معها.

– وثانيهما نشوء الولد في بيئة مليئة بالنساء والأخوات؛ مما يولّد جوًّا أنثويًّا بامتياز، يتشرّبه الصبيّ منذ نعومة أظافره، وينمو معه بشكل تلقائي؛ لينطبع التأثير الأنثويّ بقوّة.

ويضيف صديقي:

– إن تربية الأولاد بطريقة سليمة ومتوازنة ومدروسة أمر جوهريّ؛ لذلك فالإفراط في الدلع، وتشجيع التصرفات غير الذكورية للصبيّ والافتخار بعادات مكتسبة من الأم إلى ولدها، تصرّفات غير مقبولة، تؤدّي إلى ضياع الصبي نفسيًّا وتشبّثه بالخطأ لا محالة. فبعض الأمور حكر على النساء، مثل انتعال الكعب العالي والتبرّج ووضع طلاء الأظافر، ولا يجوز أن تعلّمها الأم لطفلها، كأمر طبيعيّ لتطبيقه.

لكل ما سبق، وما سيأتي من حالات مشابهة، قال صديقي المتخصص في علم النفس:

– وتبقى مرحلة المراهقة من أدقّ المراحل، التي تتطلّب مرافقة واعية، وتنشئة اجتماعية وعائلية سليمة، ومرافقة حاسمة وقرارات حاسمة، ولا مجال للتهاون أو التغاضي عن الغلط الفاضح؛ كي لا يتحوّل لاحقًا إلى مشكلة نفسية لا تُحمَد عقباها، لكن لا بدّ من التنويه بأنّ «ليس كلّ مظهر أو تصرّف أنثويّ عابر عند الطفل الصغير هو علامة حالة مرضية نفسية، وإنما قد يمرّ الطفل بمرحلة غير خطيرة، مُفادُها غياب الأب أو عدم وجود قدوة ذكورية مثل الأخ الأكبر أو الأصدقاء الذكور في المحيط، وتضمحلّ هذه الحالات بعد تأمين علاقات طبيعية واختلاط الولد مع أفراد عائلته الكبرى والمجتمع».. انتهى.